

المجموعة الميسرة: إتاحة الموارد تتجاوز امتلاكها

خوسيه بابلو غايو ليون



المخلص:

يفسر المقال مفهوم المجموعة الميسرة بوصفه انتقالًا من قياس مجموعة المكتبة بما تملكه إلى تنظيم الوصول إلى ما يحتاجه المستفيد، ويناقش أثر الرقمنة والشبكات والتعاون في الجمع بين المقتنيات والاشتراكات والمحتوى المفتوح والإنتاج المؤسسي والموارد المشتركة. ويتتبع تغير الاختيار والتقييم والتركيب والملكية، بما يشمل الاقتناء بناءً على الطلب والحزم الكبرى والموارد التعليمية والمخازن التعاونية. كما يعرض تحفظات تتعلق بالحقوق والفهارس وأدوات الاكتشاف وجهد الصيانة، ويحذر من مساواة الرغبات الآنية بالحاجات التعليمية الطويلة. ويبرز أن توسيع الإتاحة يزيد تعقيد العمل المهني ويحتاج تقييمًا وتحديثًا مستمرين. ويؤكد أن المجموعة أداة لخدمة المجتمع، وأن نجاح النموذج يعتمد على التعاون وإدارة الوصول بقدر اعتماده على تنمية الرصيد المحلي.

الكلمات المفتاحية: المجموعة الميسرة، تنمية المجموعات، إدارة المجموعات، الوصول إلى المعلومات، التعاون المكتبي

1. مقدمة:

استطاع (Lorcan Dempsey) (2016) اختزال فكرة مجموعة المكتبة الأكاديمية اليوم في مصطلح المجموعة الميسرة، وربما أمكن تعميمه على المكتبات الأخرى. وهو اكتشاف سعيد لأن الوصف يقدم رؤية فورية لبناء المجموعات، رغم تعارضه المحتمل مع مفهوم الملكية التقليدي. ويذكر (Cristóbal Pasadas-Ureña) (2016) أن مدونة ديمبسي ترسم حكاية التغير المستمر في المكتبات منذ مطلع القرن الحادي والعشرين.

وتستحق مختارات تدويناته التي أتيحت مفتوحة حديثًا القراءة ولو انتقائيًا (Dempsey, 2014). ويناقش المؤلف المقابل الإسباني لكلمة (facilitated)؛ فيرى إمكان التعبير عنها بمعنى «المزودة» أو «المعروضة»، مع ترجيح الأخير، لكنه يختار المقابل الحرفي «الميسرة» لأنه مفهوم ومقبول ولا يحرف المعنى.

سبق عرض المفهوم في أعمال سابقة (Dempsey, 2015)، ثم نشر على المدونة أوائل 2016.

وينطلق من أن المجموعات حكمها منطق المطبوع؛ كلما زادت المجلدات تحسنت الاستجابة، ولأنها مادية وجب قربها من المستفيدين وتكرار العناوين في الفروع والكلديات والأقسام. إنه منطق الملكية: المكتبة الأفضل صاحبة المجموعة الأكبر، والمجموعة هي الكتب والدوريات المقتناة.

غير عاملان مترابطان هذا المنطق: الوثيقة الرقمية والشبكة. فلم يعد الوصول محليًا مباشرًا بل بالحاسوب ومن أي مكان، وأمكن استخدام ما ليس في ملكنا ولا قريبًا. تنتقل إلى منطق الشبكة ومجموعة أغنى وأعقد تلبي الحاجة دون اشتراط الملكية أو الوصول المحلي. ويمكن تعريفها مزيدًا منظمًا من الخدمات المحلية والخارجية والتعاونية يجمع وفق حاجة المستفيد. وتشمل مطبوعات مشتركة بين مؤسسات؛ ومجموعات باشتراك يتيح الوصول دون الملكية؛ ومواد وصول مفتوح منتقاة ومعرضة بالفهرس أو ما يشبهه؛ واقتناء اتحاديًا؛ ومجموعات رقمية تنتجها المؤسسات؛ والمطبوع والرقمي التقليديين.

تصمم المجموعة حول حاجات مستفيدينا، وتستثمر خبرتنا في إدارتها لعرض طيف واسع من الوسائط والموارد سريعة الزوال والتقاعد.

فنوسع الأنواع ونعمل اتحاديًا ونبحث عن وسائط ونقدم محتويات مختلفة ون دعم الإنتاج المحلي. ولهذا آثار كبيرة في الفهرسة والحقوق والاختيار والتقييم، ويستلزم مزيدًا من العمل وصيانة المجموعات وأدواتها.

ويكمل المصطلح مفهوم ديمبسي السابق المجموعة الجماعية (collective collection) ويطوره: فكلما تقدمت الرقمنة زاد التوجه للإدارة المشتركة، كالمخازن الخارجية بين المراكز. ويؤكد أن المكتبة ليست المجموعة بل خدمة المجتمع الذي يدعمها؛ والمجموعة أداة الخدمة الرئيسة وأساسها.

2. تطور إدارة المجموعات:

نشأ النموذج من تطور المجموعات على مدى سنوات، واهتمام دائم تعكسه الأدبيات. ومن الكتب الحديثة (Rightsizing the academic library collection) لـ (Suzanne M. Ward) (2015)، عن إعادة تحجيم الورق وأثر الإلكتروني فيه، و (Rethinking collection development & management) (Albitz; Avery; Zabel, 2014). وتستعرض (Blanca San-José-Montano) (2016)، في مقال ترجمه (CSUC)، التطور في العقود الأخيرة، وتعرف المجموعة على نحو قريب: مجموع محتويات وموارد معلوماتية يديرها المهنيون للمجتمع الجامعي، مع مسؤولية الحفظ وتعزيز الإتاحة العالمية.

وبإعادة صياغة أفكارها، تشمل التحولات مصدر المواد، فلم تعد مقتناة أو مشتركة فقط بل منتجة مؤسسيًا؛ والطبيعة الهجينة؛ والملكية مقابل الوصول؛ ونمو الحجم رقميًا بدل الورق عبر الحزم الكبرى والأنواع الجديدة من الإنتاج المحلي والوصول المفتوح والويب؛ وتغير العمليات وتعقدها بالانتقال الرقمي؛ وضرورة تقييم حاجات المستفيدين والاستخدام.

ومن الطبيعي قلق المكتبيين من تغيرات تمس:

تنمية المجموعات الهجينة وتعايش الورقي والرقمي وإحلال أحدهما محل الآخر؛ والتكيف مع الموازنات المقيدة؛ وترك الحزم الكبرى لذلك؛ ودخول الكتاب الإلكتروني المعقد، كما في (Merlo-Vega) (2015)؛ وتقييم المجموعات الهجينة؛ ونماذج الاختيار الجديدة كالإقتناء بطلب المستفيد (PDA)؛ ونماذج الشراء والاشتراك والوصول؛ وإدارة حقوق المؤلف وغيرها.

وتحتاج هذه النقاط إلى دراسات متخصصة وقد نالتها، وخاصة الأخيرة الأبعد عن موضوعنا، كما في (Glòria Pérez-Salmerón, 2014). وستتناول بعض الجوانب البارزة بإيجاز.

2.1 تغير الاختيار والتقييم:

يعد الاختيار مهمة مكتبية أصيلة تعكس رسالة المكتبة وهويتها الفكرية، وقد يقود إلى نخوبة، وخاصة في المكتبة العامة؛ أي استبداد ثقافي لا يقدم إلا الرفيع فكريًا ويجعل المكتبي وحده يقرر المناسب.

وقد سماه (Juárez-Urquijo) (2015) بظرف «حسن النية الاستبدادي». وفي المقابل تتشكل المجموعات الجامعية غالبًا بتوصيات الأساتذة ومقتنياتهم؛ فيرى فيه بعضهم تخليًا مهنيًا، لكنه قريب من (DDA) أو (PDA) الشائعين في الكتاب الإلكتروني. وهما ليسا بعيدين عن قوائم رغبات الاقتناء التقليدية، لكنهما يركزان على انتقاء عناوين ضمن بيئة محددة.

ويُحذر بحق من (PDA) الخالص دون وساطة المكتبي؛ فقد يعرض تنمية المجموعة للخطر بعدم التمييز بين رغبات الطالب الآنية وحاجاته التعليمية على المدى الطويل (Walters, 2012). لذلك يلزم إكماله بخطط متوسطة الأجل لتحسين الكفاءة (Roll, 2016).

ويسبق التقييم التخطيط المناسب. ففي زمن التغير التقني السريع وضغط الميزانية يجب تبرير المجموعة وضمان ملاءمتها وتوجيه الإنفاق، وهو ما يستلزم إجراءات التقييم (Kelly, 2014). وتبين الأدبيات الدولية انتشار الانشغال، لكن هل يجري منهجيًا في بلدنا؟ الإجابة غير يقينية. ويرى (Herrera-Morillas) (2015) قلة الإجراءات، رغم أن ارتفاع أسعار الاشتراكات والقيود دفعا معظم المراكز إلى دراسات تكلفة التنزيل.

وإلى جانب الإحصاء درسنا على الأقل أساليب نوعية مثل (conspectus)، لكن قلة طبقوها. ويمكن تحليل بحث المستفيدين في أدوات الاكتشاف ونتائجه، بروح الاختيار وفق كثافة الإعارات والحجوزات، أو حجة الموردين والناشرين ببيانات محاولات تنزيل النصوص غير المشتركة لإقناعنا بالاشتراك الكامل. وينبغي استخدام أدوات التسويق أكثر لمعرفة حاجات المجتمع وطلباته وترويج المجموعات قليلة الاستخدام.

2.2 تغير تركيب المجموعة:

منذ انتشار الإلكتروني في التسعينيات حل الرقمي محل الورق بقوة في الدوريات المهنية والبحثية، وبدرجة أقل في الكتب والمطبوعات خارج الأكاديمية. فتغير تخطيط المساحة والإدارة جذريًا. وتضاف مواد المجتمع نفسه في المستودعات، وأنواع رقمية موجودة مباشرة على الويب.

ويزداد طلب الموارد التعليمية الإلكترونية ومواد التدريس واستخدامها، لكنها جزء غير مكتمل من المجموعة؛ فوجودها في (OCW) يجعلها ضمن مجموعة الجامعة عمليًا لا المكتبة دائمًا. وينبغي للمكتبة تقييمها وإدراجها منهجيًا، وتدريب الطلاب على بحثها واختيارها وتقييمها عبر برامج الوعي المعلوماتي و(CI2) و(DigComp) و(Pinto; Gómez-Camarero; Fernández-Ramos, 2012).

ولم تحسن المكتبات الاستجابة لتحول الموسيقى والسمعي البصري، كما فاجأ (MP3) شركات التسجيل والمكتبات معًا. ويبقى الورق في الهجين وإن تباطأ نموه؛ حتى قوائم القراءات الموصى بها في الجامعات الإسبانية ما زالت أغلبها ورقية (Rodríguez-Bravo et al., 2015). ولهذا آثار في الاستدامة؛ فلا تنمو المطبوعات بلا ضبط، وقد عدها (Jankowska) و (Marcum) (2010) متغيرًا فيها: قطع الأشجار والتخزين المكيف وبصمة الإنتاج والنقل الكربونية وغيرها.

ويتزايد نقل الأقل استخدامًا إلى مخازن خارجية مشتركة غالبًا، لتوفير مساحة لوظائف أخرى؛ ومن النجاحات الإسبانية مخزن (GEPA) في (CSUC).

وتوجد حالات عكسية لأسباب مختلفة؛ فأعيد بناء مكتبة (Weston) التابعة لبودليان أكسفورد لتبقى مجموعاتها الثمينة كلها في الموقع (Kirtley, 2016). ومن اللافت أيضًا المجموعات المتنقلة في الأكاديمية، التي وصفت مكتبات (Penn State) نجاحها الملحوظ (Coopey; Eshbach; Notartomas, 2016).

2.3 تغير الملكية:

حكمت الحزم الكبرى (big deal) بناء المجموعات طويلًا، وهو مصطلح موفق آخر صاغه (Kenneth Frazier) عام 2001 (Anglada, 2015). فزيادة صغيرة في الثمن نحصل على دوريات كثيرة.

وزادت المجموعات كثيرًا، ولو بعناوين مشكوك في أهميتها، ووسعت خيارات الباحثين التي استثمروها. لكن توفير الكلفة المأمول مقارنة بالورق لم يتحقق؛ بل ارتفعت الأسعار فوق التضخم حتى في الأزمة. وتميل الحزم إلى الجمود؛ ومع انخفاض الميزانيات تشابهت المجموعات الجامعية بحزم كبار الناشرين. وأضر خفض الاشتراكات استنادًا إلى معدلات التنزيل بالتخصصات والأقسام الصغيرة فألغيت مصادرها الأولى. ومع ذلك كان ترك الحزم أقل درامية مما توقع، أو هكذا توحى الإغارة بين المكتبات التي انخفضت من 67662 طلبًا سنة 2008 إلى 35148 سنة 2015 وفق (Rebiun). بعد موجة إلغاء سببت متاعب لمديري المكتبات والمجموعات. وقد يسهم تراجع النشاط البحثي المقلق بحد ذاته وزيادة الوصول المفتوح، ولم تسجل الولايات المتحدة أيضًا ارتفاعًا قويًا (Nabe; Fowler, 2015). ويبدو أن الاتجاه المقبل ضمان الوصول أكثر من الملكية؛ فتغير المنصات يجعل ضمان ملكية المواد الرقمية المشترك فيها شديد الصعوبة قليل الفائدة. والأهم الوصول إلى المهم طوال مدة الحاجة.

2.4 تحفظات المكتبيين:

يثير النموذج تحفظًا لتجذر الملكية في نفوسنا؛ رصيدنا هو ما اقتنيناها. ويحتاج إلى منصات لا تعقد البحث؛ وقد تحل أدوات الاكتشاف المشكلة لكنها تترك أحيانًا بعرض تسجيلات لا تتاح نصوصها. ويجب أن تشمل الفهارس الأنواع كلها، مع جهد صيانة دائم قد يثير امتعاض المفهرسين.

ولا تقتصر المشقة على الأداة؛ فالاختيار والتقييم يتسعان ويتعقدان ويحتاجان إلى تحديث مستمر في شبكة مثقلة بالمعلومات. وخلاصة القول إن المجموعة أعقد بكثير من قبل سنوات، وقد لا تتمكن المكتبات من النهوض بمتطلباتها إلا بالتعاون، كما تشير (San-José-Montano) (2014).

المراجع:

- [ترجمة للعمل الأصلي: San-José-Montano, Blanca (2014). "The new paradigm of collection management in /university libraries: from crisis to revolution". Collection building, v.33, n.3, pp.90-97. [https://doi.org/10.1108](https://doi.org/10.1108/10.1108) [CB-02-2014-0012/10.1108]
- Albitz, Becky; Avery, Christine; Zabel, Diane (eds.) (2014). Rethinking collection development & management. Englewood (Colorado): Libraries Unlimited. ISBN: 978 1610693059
 - Anglada, Luís (2015). "Compras consorciadas, big deals, concentración editorial, acceso abierto y el circuito de la comunicación científica". Anuario ThinkEPI, v. 9, pp. 41-48. <https://doi.org/10.3145/thinkepi.2015.08>
 - Coopey, Barbara; Eshbach, Barbara; Notartomas, Trish (2016). "Floating collection in an academic library: An audacious experiment that succeeded". Journal of access services, v. 13, n. 3, pp. 166-178. <https://doi.org/10.1080/15367967.2016.1189828>
 - Dempsey, Lorcan (2014). The network reshapes the library: Lorcan Dempsey on libraries, services, and networks. Chicago: ALA. ISBN: 978 0838919972 <http://www.oclc.org/content/dam/research/publications/books/dempsey-network-reshapes-library.pdf>
 - Dempsey, Lorcan (2015). "Towards collaboration at scale: Libraries, the social and the technical". En: OCLC Asia pacific Regional Council Meeting, RMIT University, Melbourne, 3-4 December 2015. <https://goo.gl/LYZoGG>
 - Dempsey, Lorcan (2016). "The facilitated collection". Lorcan Dempsey's Weblog, January 31. <http://orweblog.oclc.org/towards-the-facilitated-collection>
 - Herrera-Morillas, José-Luis (2015). "La gestión de la colección en las bibliotecas universitarias españolas. Planes y normativas (III): evaluación y expurgo". Revista española de documentación científica, v. 38, n. 2, pp. e083. <https://doi.org/10.3989/redc.2015.2.1158>
 - Jankowska, Maria-Anna; Marcum, James W. (2010). "Sustainability challenge for academic libraries: planning for the future". College and research libraries, n. 71, pp. 160-170. <https://doi.org/10.5860/0710160>
 - Juárez-Urquijo, Fernando (2015). Biblioteca pública: mientras llega el futuro. Barcelona: UOC. ISBN: 978 8490646663
 - Kelly, Madeline (2014). "Applying the tiers of assessment: A holistic and systematic approach to assessing library collections". The journal of academic librarianship, v. 40, n. 6, pp. 585-591. <https://goo.gl/vS24yt> <https://doi.org/10.1016/j.acalib.2014.10.002>
 - Kirtley, Toby (2016). "Designing libraries: How the Bodleian's Weston Library was transformed". CILIP. Chartered Institute of Library and Information Professionals, 12 septiembre. <https://goo.gl/u1rnjK>
 - Merlo-Vega, José-Antonio (2015). "Libros electrónicos en las bibliotecas universitarias: recursos, servicios y 20 aspectos clave para su desarrollo". Anuario ThinkEPI, v. 9, pp. 87-96. <https://doi.org/10.3145/thinkepi.2015.16>

- Nabe, Jonathan; Fowler, David C. (2015). "Leaving the 'Big Deal'... five years later". *Serials librarian*, v. 69, n. 1, pp. 20-28. <https://goo.gl/u5YI3N> <https://doi.org/10.1080/0361526X.2015.1048037>
- Pasadas-Ureña, Cristóbal (2016). "Crónica de un cambio anunciado: el blog de Lorcan Dempsey como relato del cambio continuo en las bibliotecas desde comienzos del siglo XXI". *Blok de BiD*, 16 noviembre. <http://www.ub.edu/blokdebid/es/node/741>
- Pérez-Salmerón, Gloria (2014). "Las bibliotecas y su necesidad de protección ante los derechos de autor". *Anuario ThinkEPI*, v. 8, pp. 126-131. <http://recyt.fecyt.es/index.php/ThinkEPI/article/view/29566>
- Pinto, María; Gómez-Camarero, Carmen; Fernández-Ramos, Andrés (2012). "Los recursos educativos electrónicos: perspectivas y herramientas de evaluación". *Perspectivas em ciência da informação*, v. 17, n. 3, pp. 82-99. <https://goo.gl/Q8G9Lz>
- Rodríguez-Bravo, Blanca; Pacios, Ana-Reyes; Vianello-Osti, Marina; Moro-Cabero, Manuela; De-laMano-González, Marta (2015). "Digital transition of teaching learning resources at Spanish universities". *El profesional de la información*, v. 24, n. 6, pp. 737-748. <https://doi.org/10.3145/epi.2015.nov.05>
- Roll, Ann (2016). "Both just-in-time and just-in-case". *Library resources & technical services*, v. 60, n. 1, pp. 4-11. <https://doi.org/10.5860/lrts.60n1.4>
- San-José-Montano, Blanca (2016). *El nuevo paradigma de la gestión de la colección en las bibliotecas universitarias: de la crisis a la revolución*. Traduccions de la CBUC; 57. <http://hdl.handle.net/2072/267875>
- Walters, William. H. (2012). "Patron-driven acquisition and the educational mission of the academic library". *Library resources & technical services*, v. 56, n. 3, pp. 199-213. <https://journals.ala.org/lrts/article/viewFile/5528/6795>
- Ward, Suzanne M. (2015). *Rightsizing the academic library collection*. Chicago: ALA. ISBN: 978 0838912980